قصة
أبينا آدم

١. خلق آدم وحواء

٢. سجود الملائكة لآدم

٣. قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وتوبته منها ومغفرة الله له

٤. استخلاف آدم في الأرض

إعداد: ماجد بن سليمان

محرم ١٤٤٢ هـ / سبتمبر ٢٠٢٠ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ مَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فقد اهتم القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا بشأن نبي الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فذكر قصته من مبتدأ خلقه، ثم تكلم عن خلق أمِّنا حواء في موضعين، ثم ذكر قصة تكريم الله لآدم بالعلم، ثم قصة تشريف الله له بأمر الملائكة للسجود له سجودَ تحية، ثم ذكر قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، ثم ذكر قصة توبته من تلك الخطيئة وكيف أن الله تاب عليه وسامحه وعفا عنه وغفر له ذلك الذنب ومحاه فلم يعد له وجود.

ثم تكلم القرآن عن قصة استخلاف آدم في الأرض، بعمارة بَنِيه لها جيلًا بعد جيل إلىٰ يوم القيامة.

وقد أكَّـد القرآن الكريم في كل هذه المراحل علىٰ أن الهدف من خلق آدم وبنيه هو عبادته وحده لا شريك له، وأن ذلك لا يكون إلا باتباع الشرائع التي بأيدي الأنبياء الذين يرسلهم الله علىٰ مر القرون، بدءًا من النبي آدم إلىٰ خاتمهم وهو محمد، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

وقد سلك الإسلام في الاعـتقاد بآدم مسلكًا وسطًا، فالشيطان (إبليس) احتقر آدم، ورفض احترامه وتكريمه بالسجود له كما أمره ربنا، وكان السبب في هذا أمرين؛ **الأول**: التكبر، فقد رفض أمْرَ الله له بالسجود له لكونه خُلِقَ من نار، وآدم مخلوق من طين، وهو يرىٰ أن النار أفضل في مادتها من الطين، والحق أن كليهما مخلوقان لله، واختلاف الخِلقة لا يوجب التكبر عن عبادة الله ورفض أوامره.

الثاني: الحسد، فقد حسد الشيطان أبانا آدم أن تبوأ هذه المكانة، وهي سجود الملائكة والجن له سجودَ احترام وتحية وتشريف.

وقد كان الواجب عليه هو طاعة أمر الله له، وعدم الاعتراض عليه، لأن الله حكيم، يضع الأشياء مواضعها، ويريد بعباده الخيرَ والفلاحَ.

وعلىٰ الجانب الآخر، فالنصارىٰ(١) سلكوا مع آدم مسلكًا شططًا، فاعتقدوا أن خطيئته لما أكل من الشجرة انتقلت إلىٰ بنيه علىٰ مر القرون

---

(١) النصارىٰ هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع المسيح عيسىٰ ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارىٰ» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُـمُّـوا بذلك تبعًا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾.

وقيل إنهم سُـمُّـوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها «ناصرة» بفلسطين.

وقيل إنهم سُـمُّـوا بذلك لأن عيسىٰ خرج منها.

وعلىٰ كل حال فكلمة «نصارىٰ» أصلها من النُّصرة، وهي صفة مدح وثناء.

والعصور، بالرغم من أنهم لا ذنب لهم، ويعتقدون أن المسيح عيسىٰ ابن مريم رَضِي بصَلْبِه علىٰ الصليب وقَتْلِه ليفتديَ خطايا مَن آمن به كـمُـخَـلِّـص لهم من تلك الخطيئة، وأنَّ مَن لم يؤمن به كـمُـخَـلِّـص فإن الخطيئة ستكون لصيقةً به، وأنه سيلقىٰ الله يوم القيامة بها، وستكون عاقبته الدخول في النار بحسب اعتقادهم.

ولا شك أن هذا الاعتقاد غير صحيح، لأنه غير موافق لا للعقل ولا للإنجيل الذي كان بيد عيسىٰ، ولا لدين عيسىٰ ابن مريم الأصلي، وسيأتي بيان ذلك في ثنايا الكتاب، وسيأتي بيان أن أصل هذا الاعتقاد هو التحريف الذي زرعه اليهود وقساوسة النصارىٰ في دين النصارىٰ علىٰ مدىٰ عشرين قرنًا، وأن الحق الذي لا مِرية فيه أن أبانا آدم ندم علىٰ خطيئته وطلب من الله المغفرة فغفر الله له وانتهىٰ الأمر، فلم يُورِّث آدمُ خطيئةً أصلًا لأن الله محاها عنه في ذلك الحين.

أما المسيح عيسىٰ ابن مريم فإنه لم يمت ولم يُصلب ليفتدي خطايا الناس، بل حماه الله من كيد اليهود لما أرادوا قَتْلَه، فرفعه إلىٰ السماء في معجزة إلٰهية ليس لها نظير، وقتل اليهود رجلًا يُشبهه ظنوه هو عيسىٰ ابن مريم، وصلبوه وبصقوا في وجهه، فنجَّىٰ الله نبيه عيسىٰ، وحاشاه أن يصيبه شيء من أذىٰ اليهود.

وقد بين القرآن حقيقة هذا الأمر، وكان هذا بعد رسالة عيسىٰ بنحو ستة قرون، فإن الله رحيم بعباده، لم يتركهم يسيرون مضطربين بلا هداية ولا إرشاد، فأرسل إليهم محمدًا، وأنزل عليه القرآن، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل، وبين حقيقة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحقيقة عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلم يدع شبهة إلا أزالها، ولا حقيقة إلا أبانها، فالحمد لله علىٰ نعمة القرآن.

والذي دعاني لإعداد هذا البحث هو اطلاع أتباع الأديان الأخرىٰ علىٰ عقيدة المسلمين في آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومسألة الخطيئة علىٰ وجه الخصوص، حيث إني وجدت من خلال بعض مناقشاتي مع بعض النصارىٰ (المسيحيين) أنهم يفهمون مسألة الخطيئة فهمًا لا يوافق العقل، ولا يوافق عقائد الأنبياء كلَّها، ولا يوافق صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لاسيما صفة العدل والرحمة، فضلًا عن كون هذا الاعتقاد يلزم منه أن جميع مَن ماتوا قبل المسيح ابن مريم أنهم لا كفارة لهم، وأن مصيرهم النار كلهم، وهذا من معاندة العقل البشري، ومن الظلم الذي يتنزَّه الله الرحيم عنه.

ومن اللطائف أني أطْلعتُ إحدىٰ الباحثات علىٰ حقيقه اعتقاد المسلمين في آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وما ذكره الله في القرآن من قصته في مواطن عديدة من القرآن، فانبهرت بذلك، وكأن عقدة نفسية زالت من نفسها.

وبعد:

فهذا البحث يسلط الضوء علىٰ أخبار أول الأنبياء وهو أبونا آدم كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)، وهو يدور علىٰ المواضيع التالية:

١. خَـلْـقُ آدم
٢. اصطفاء الله لآدم
٣. خَـلْـقُ حواء
٤. تكريم الله لجميع بني آدم وحواء، وهم جميع البشر
٥. الغاية من خلق الإنس والجن

---

(١) معنىٰ الصلاة علىٰ النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلىٰ وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدىٰ الناس به إلىٰ الدين الصحيح.
ومعنىٰ (وسلَّم) هذا دعاء أيضًا أن يُسَلِّمه الله من الآفات، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.
فيكون المعنىٰ الإجمالي لجملة (**صلىٰ الله عليه وسلم**) أي: اللهم أثنِ علىٰ نبيك محمد وسَلِّمه من الآفات.
وهذه الجملة جملة توقير واحترام، ويجب علىٰ المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.
كما يستحب ذكر هذا الدعاء عند ذكر باقي الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

٦. الغاية من إرسال الرسل

٧. مفهوم العبادة في الإسلام

٨. أمَرَ الله الملائكة بالسجود لأبينا آدم تحية له، وتكبَّرَ إبليس عن الاستجابة لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

٩. خلاصة الكلام في التعريف بالشيطان (إبليس)

١٠. استخلاف آدم في الأرض

١١. تعليم الله لآدم الأسماء كلها

١٢. قصة آدم لما أكل من الشجرة التي حرَّم الله عليه الأكل منها

١٣. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم: التحذير من اتباع الشيطان

١٤. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم لما أكل من الشجرة: بيان بطلان عقيدة توارث الذنب الأصلي التي يعتقدها النصارىٰ، ولنا معها ثمانية عشر وقفة

وبعد، فلا يفوتني التنبيه بأني نقلتُ شرْحَ الآيات التي نقلتها من كتب التفسير المشهورة لاسيما كتاب «التفسير الميسر» وتفسير الشيخ عبد الرحمٰن السعدي المعروف بـ«تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمٰن».

وفَّق الله الجميع للعلم النافع والاعتقاد الصالح، وجعلنا ممَّن يستمع القول فيتبع أحسنه.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل[١]، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم.

ماجد بن سليمان

في تاريخ ٢ شعبان من عام ١٤٣٥ هجري،

الموافق ٣١ مايو لعام ٢٠١٤ ميلادي

(١) جبرائيل هو أعظم الملائكة، وهو الملك الموكل بالوحي إلىٰ الرسل، ميكائيل هو المَلَك الموكل بالمطر، إسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء. فاطر السماوات والأرض أي خالقها.

توضيح مصطلحات متكررة في الكتاب

● **مصطلح «صلى الله عليه وسلم»**

كما تقدم في أول المقدمة، فإن معنىٰ الصلاة علىٰ النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملأ الأعلىٰ وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدىٰ الناس به إلىٰ الدين الصحيح.

ومعنىٰ (وسلَّم) هذا دعاء أيضًا أن يُسَلِّمه الله من الآفات، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.

فيكون المعنىٰ الإجمالي لجملة (**صلىٰ الله عليه وسلم**) أي: اللهم أثنِ علىٰ نبيك محمد وسَلِّمه من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقير واحترام، ويجب علىٰ المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

كما يستحب ذكر هذا الدعاء عند ذكر باقي الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

● **مصطلح « عليه السلام»**

إذا قيل في حق نبي (**عليه السلام**) فهذا دعاء له بالسلامة والعافية في عرضه وشرفه حتىٰ بعد موته.

• مصطلح «النَّصارى»

تقدم الكلام أن النصارىٰ هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع المسيح عيسىٰ ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارىٰ» هو تناصُرُهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعًا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾(١).

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها «ناصرة» بفلسطين.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسىٰ خرج منها.

وعلىٰ كل حال فكلمة «نصارىٰ» أصلها من النُّصرة، وهي صفة مدح وثناء.

(١) سورة آل عمران: ٥٢.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١. خَلْقُ آدم

قال الله تعالىٰ في القرآن العظيم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾(١).

تفسير الآية:

أي: ولقد خلقنا آدم مِن صلصال، وهو طين يابس إذا نُقِر عليه سُمِع له صوتٌ وصلصلةٌ كصوت الفخار إذا نُقِر، كما قال الله في آية أخرىٰ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾(٢).

وهذا الطين اليابس هو من حَمَإٍ مَسنون، وهو الطين الأسود الأملس، الذي تغيَّر لونه وريحه مِن طول مُكثه.

وقد جاء إجمالُ خلق آدم من طين في آية أخرىٰ، وهي قول الله تعالىٰ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾(٣).

---

(١) سورة الحِجْر: ٢٨.

(٢) سورة الرحمٰن: ١٤.

(٣) سورة ص: ٧١.

كما جاء ذِكر خَلْق أبينا آدم من تراب، قال الله تعالىٰ في القرآن العظيم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾(١).

وتفسير الآية: إنَّ خَلْقَ الله لعيسىٰ من غير أب كمثل خلقِ الله لآدم من غير أب ولا أم، إذْ خلق الله آدم من تراب الأرض ثم قال له: «كن بشرًا» فكان آدم.

فهذه أربع آيات في القرآن الكريم تحدثت عن خلق أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

***

تنبيه حول معنىٰ قول الله تعالىٰ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾(٢)

يتبين من هذه الآية أن دعوىٰ إلٰهية عيسىٰ لكونه خُـلِق من غير أبٍ دعوىٰ باطلة، فآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خُـلِق من غير أب ولا أم، ولم يقُـل أحدٌ بأنه إلٰه، ليس هذا فحسب، بل ونفخ الله فيه من روحه، وأسجد له ملائكتَه سجود تحية، وعلَّمه أسماءَ كل شيء، ومع هذا فاتفق الجميع (المسلمون والنصارىٰ واليهود وجميع أتباع الأديان السماوية) علىٰ أنه عَبْدٌ من عباد الله، ليس فيه من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء، فإنْ صحَّ ادِّعاء البُنُوَّة والإلٰـهية في المسيح لكونه

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ٥٩.

خُلِق من غير أبٍ فادعاؤها في آدم من باب أولىٰ وأحرىٰ، فإنه من غير أبٍ ولا أم، ومعلوم بالاتفاق أن أحدًا لم يدَّعِ هذه الدعوىٰ، فبناء عليه فإن دعوىٰ الإلٰهية في المسيح باطلة أيضًا.

***

٢. اصطفاء الله لآدم

قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾(١).

تفسير الآية: أي إن الله اختار آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عِمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.

***

٣. خَلْقُ حواء

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن بخصوص خلق حواء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

(٢) سورة النساء: ١.

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[١].

تفسير الآيتين:

النفس الواحدة هي آدم، وخلق الله من هذه النفس زوجَها وهي حواء، فإنَّها خُلِقت من آدم، من ضِلْـعِه، كما يدل عليه ظاهر الآية في قوله ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾، وقوله في الآية الثانية ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾، وهذا القول هو قول جمهور المفسرين للقرآن الكريم.

وقوله ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي: ليأنس بها ويطمئن.

فبهذا يتبين أن أُمَّنا حواءَ خُلِقت من أبينا آدم، من ضِلْـعِه، والله يخلق ما يشاء كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو القادر علىٰ كل شيء، لا يُعـجِـزُهُ شيء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

لفتة لطيفة:

خَـلَـق الله آدم من تراب، لا من ذكر ولا من أنثىٰ، (أي بلا أب ولا أم).

وخَلق حواء من ذكر بلا أنثىٰ، (أي من ذَكَـر وهو آدم، خلقها الله من ضِلعِهِ).

وخَلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر، (أي خلقه من أنثىٰ وهي مريم العذراء، بلا أب).

وخلق بقية الناس من ذكر وأنثىٰ (وهم جميع البشر).

فسبحان من بهر بقدرته العقول.

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٩.

٤. تكريم الله لجميع بني آدم وحواء، وهم جميع البشر

بَنِي آدم وحواء هم جميع الناس، لأن جميع الناس توالدوا منهما، والقرآن يُـقـرِّر أن جميع البشر مُكَـرَّمين، غير مُهانين مثل البهائم والجمادات، ومن دلائل تكريمهم أن الله سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، قال تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[1].

يخبر الله تعالىٰ في هذه الآية عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم علىٰ أحسن الهيئات وأكملها، كما قال تعالىٰ في سورة التِّين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾، أي إن الله جعله في أحسنِ خِلقةٍ خلقها، فجعل له سمعًا يسمع به، وبصرًا يُبصِر به، وعقلًا يَفقهُ به وينتفع، ويُفرق به بين الأشياء، ويعرف منافعَها وخواصَّها ومضارَّها.

كما خلق الله له رِجلين ليمشي قائمًا منتصبًا عليهما، ويدَين ليتناول بهما ويعطي ويعمل ويأكل ويعمر هذه الأرض، في حين أن غيره من الحيوانات أقل من الإنسان في تقويمها، لاسيما نعمة العقل.

كما كرَّم الله ذرية آدم بإرسال الرسل منهم، وسَخَّر لهم جميع ما في الكون،

---

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

وسَخَّر لهم الدواب في البر كالإبل والخيول والبغال والحمير، وسخر لهم الحديد، ليصنعوا منه المراكب البَـرِّية المعروفة الآن، كالسيارات والطائرات، وسخَّر لهم السفن في البحر لحملهم، ورزقهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضَّلهم علىٰ كثير من المخلوقات تفضيلًا عظيمًا.

فإذا كانت هذه بعض نِعم الله علىٰ عباده، أفلا يستحق أن يُشكر عليها بإفراده بجميع أنواع العبادات، واجتناب عبادة غيره من المخلوقات، سواء كانت جمادات أو غيرها؟

***

٥. الغاية من خلق الإنس والجن

خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلق -الجنَّ والإنسَ- لحكمة عظيمة وغاية جليلة، وهي عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[(١)]، وقال تعالىٰ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[(٢)]، وقال تعالىٰ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[(٣)]، أي: أَحسِب الإنسان أن يُترك هَمَلًا، لا يُؤمر ولا يُنهىٰ، ولا يُحاسب ولا يُعاقب؟

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٦.

(٣) سورة القيامة: ٣٦.

٦. الغاية من إرسال الرسل

أَرسل الله الرسل لـيُبَلِّغوا الناس هذه الرسالة (عبادة الله وحده)، لأن الرسل وسائط بين الله وبين خلقه، قال الله تعالىٰ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[١]، فالرسل يبلغون الناس هذه الرسالة، ويعلِّمونهم أيضًا تفاصيل الشريعة (القانون) التي أوحاها الله لذلك النبي، وهي تدور علىٰ ستة مواضيع:

أولًا: أحقية الله وحده بالعبادة، فجميع الرسل دعوا إلىٰ شيء واحد وهو عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه، سواء كانوا أصنامًا أو أشخاصًا أو أنبياء أو أحجارًا أو غيرها.

فدين الأنبياء واحد بهذا الاعتبار، وهو عبادة الله وحده.

ثانيًا: العقيدة: وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالـقَـدَر خيره وشره.

ثالثًا: كيفية العبادات، فيعلمونهم كيفية الصلاة، وكيفية الصيام وغير ذلك من العبادات.

رابعًا: ومما جاء في تلك الشرائع الأمر بمحاسن الأخلاق والنهي عن قبيحها،

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

فتأمر مثلًا ببر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الضيف والعطف علىٰ الفقراء والمساكين والقول الحسن وحسن الجوار والعدلِ والقِسطِ وغير ذلك، كما أنها تنهىٰ عن القبائح، كالظلم والعدوان وعقوق الوالدين وانتهاك الأعراض والكلام البذيء والكذب والسَّرقة وغير ذلك.

خامسًا: والشرائع السماوية تأمر بحفظ الضروريات الخمس، وهي الدين والعقل والمال والعِرض والنفس.

سادسًا: تذكير الناس بيوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، وفي ذلك اليوم يُبعث الناس من قبورهم، فيُحاسبون علىٰ أعمالهم، فمن كان متَّبعًا للنبي الذي أرسله الله إليه كان من أهل الجنة، ومن كان عاصيًا له كان من أهل النار، قال الله تعالىٰ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[(١)].

***

٧. مفهوم العبادة في الإسلام

العبادة هي التذلل لله عَزَّوَجَلَّ محبة وتعظيمًا، بفعل أوامره واجتناب نواهيه علىٰ الوجه الذي جاءت به شرائعه، كما قال تعالىٰ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[(٢)]، أي: ما

---

(١) سورة المؤمنون: ١٥، ١٦.

(٢) سورة البينة: ٥.

أُمِر الناس في سائر الشـرائع إلا ليعبدوا الله وحده، ويكونوا حنفاء، أي مائلين عن الإشراك مع الله في العبادة إلىٰ التوحيد والإخلاص لله في سائر العبادات، ويقيموا الصلاة، ويؤدوا الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين ونحوهم، وذلك دين القيِّمة، أي دين الاستقامة، وهو الإسلام.

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

***

٨. أمَرَ الله الملائكة بالسجود لأبينا آدم تحية له، ولكن إبليس تكبَّرَ عن الاستجابة لأمر الله

ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قصة سجود الملائكة لأبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في عدة مواضع من القرآن الكريم، تنبيهًا لأهميتها، وليكون في هذا التكرار تشويقًا وإعجازًا بسرد نفس القصة بأسلوب بلاغي مختلف.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾(١).

(١) سورة البقرة: ٣٤.

وقال الله تعالىٰ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾(١).

وقال الله تعالىٰ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٢).

---

(١) سورة الحجر: ٢٨ - ٤٤.

(٢) سورة ص: ٧١ – ٨٥.

شرح الآيات:

اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبانا آدم بأربع خصائص لم تحصل لأحد قبله، فقد خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه أسماءَ كل شيء، ثم أمر الملائكة بالسجود له، تحية له وإكرامًا، وليس من باب العبادة له، فبادر الملائكة بالسجود لآدم ممتثلين لأمر ربهم، إلا إبليس امتنع عن السجود تكبرًا وحسدًا، فقال كما أخبر الله عنه في آية أخرىٰ ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾[1]، وفي آية أخرىٰ ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾[2]، أي لا يليق بي أن أسجد لبشر خلقته من طين، قال هذا لكونِه من الجن، والجن مخلوقون من نار، وهو يرىٰ أن النار أشرف من الطين[3]، لعُلُوِّها وصُعودها

---

(١) سورة الإسراء: ٦١.

(٢) سورة الحجر: ٣٣.

(٣) قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه باطل من عدة أوجه:

منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها ويكون تابعًا لها، فأما قياسٌ يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاءُ النصوص؛ فهذا القياس من أشنع الأقيسة.

ومنها: أن قوله ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث، فإنه برهن علىٰ نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول علىٰ اللّه بلا علم. وأي نقص أعظم من هذا؟

=

وخِـفَّتِها، فلهذا استكبر وامتنع عن السجود، وخاصم ربه وعصاه، فاغتر بأصله الذي خُلِق منه، فعاد عليه غروره بالوبال، فطرده الله من رحمته، وسماه «إبليس» إعلامًا له بأنه قد أبْلَس من الرحمة، أي: أَيِسَ منها.

وإبليس -وإن لم يكن من الملائكة- فإنه دخل في خطابهم لما خاطبهم الله وأمرهم بالسجود، لأنه تشبه بهم في أول أمره وتعبد وتنسك، فلهذا دخل في

=

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار علىٰ مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات علىٰ اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق.

ولهذا لما جرىٰ من إبليس ما جرىٰ، انحط من مرتبته العالية إلىٰ أسفل السافلين. انتهىٰ.

زاد القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال في مادة الطين: وذلك هو الداعي لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد السعادة التي سبقت له إلىٰ التوبة والتواضع والتضرع، فأورثه المغفرة والهداية.

ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب، وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلىٰ الاستكبار والإصرار، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء.

كما ذكر القرطبي في تفسير نفس الآية سببين آخرين لتفضيل الطين علىٰ النار فقال ما ملخصه أن النار سبب العذاب، وهي عذاب الله لأعدائه، وليس التراب سببًا للعذاب.

كذلك فإن الطين مستغنٍ عن النار، في حين أن النار محتاجة إلىٰ المكان، ومكانها التراب. انتهىٰ الغرض منه.

انظر كلامهما رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيريهما لسورة الأعراف: ١٢.

خطابهم، ثم لما عصىٰ الله وخالف أمره خرج عنهم.(١)

وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.(٢)

ومن باب الفائدة فإن جميع الجن مخلوقون من نار، فعن عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال:

خُلِقت الملائكة من نور، وخُلِق الجان من مارجٍ من نار، وخُلِق آدم مما وُصِف لكم.(٣)

ومعنىٰ (مارج من نار)، أي من لهب النار المختلط بعضه ببعض.

ثم توعد الله إبليس ومن تبِعه من الإنس والجن فقال ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾، أي أن مرجعكم كلِّكم إلي، فأجازيكم بأعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فأُجازي كلًّا بأعمالهم.

ثم قال ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾، أي

---

(١) قاله ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية الكريمة.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٦).

ليس لك يا إبليس علىٰ عبادي المخلِصين سبيل، أما الغاوين الضالين فلك عليهم سلطان وطريق.

ثم توعد الله إبليس ومن تبعه من الناس بجهنم، فقال ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾، أي: قد كُتِب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلون جهنم من ذلك الباب، لا محيد لهم عنه -أجارنا الله منها-، وكل باب يدخل منه ناس بحسب عملهم، فبعض الأبواب تؤدي إلىٰ منازل أحرَّ من غيرها، فيستقر في دَرَكِها بقدر عمله الخبيث، وهذا من عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تنبيه

مما ينبغي التنبه إليه هو أن هذا السجود الذي أمر الله به الملائكة ليس سجود عبادة، بحيث إنه يُقصد به التذلل والخضوع والعبادة لآدم، بل هو سجود تحية، وهو مثل سجود والد ووالدة النبي يوسف ليوسف لمَّا جاءوا إليه في مصر، قال الله في القرآن ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[1]، أي: وأجْلَسَ أباه وأمه علىٰ عرشه وهو سرير ملكه، أجلسهما بجانبه إكرامًا لهما، وحيَّاه أبواه وإخوته الأحد عشر **بالسجود له تحية وتكريمًا، لا عبادة وخضوعًا**، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم، وقد حُرِّم في شريعة الإسلام، وصار نوعًا من

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

العبادات، كالدعاء والصلاة والصيام ونحوها، ومن المعلوم أن العباداتِ كلَّها لا يجوز صرفُها إلا لله تعالىٰ، وبناء عليه فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد مطلقًا لا سجود تحية ولا سجود عبادة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الحق في تحريم ذلك، له الحق في تشريع ما شاء من الشرائع ومحو ما شاء، لأنه هو الخالق الآمر المتصرف، فكما أنه لا يخلق غيرُه فكذلك لا يأمر غيرُه، قال الله تعالىٰ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[1]، أي: يمحو الله ما يشاء من الأحكام ويُبقي ما يشاء منها، لحكمة يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما يَصلح لِكل أناس من الشرائع وما يناسبهم.

***

كما وردت قصة سجود الملائكة لآدم في سورة الأعراف، قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا

(١) سورة الرعد: ٣٩.

مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾.(١)

هذه الآيات تتحدث أيضًا عن قصة أمرِ الله للملائكة بالسجود لآدم سجود تحية واحترام، فسجدوا إلا إبليس امتنع عن ذلك تكبُّرًا وحسدًا، وقال: أأسجد لهذا الضعيف المخلوق من طين؟

ثم قال الله لإبليس: اهبط من الجنة، أي: اخرج منها، فإنك لا تستحق العيش فيها، لأن الجنة طاهرة طيبة، ولا يدخلها ويعيش فيها إلا نفس طيبة، والكبر والحسد لا تتصف به إلا نفس خبيثة، فاخرج من الجنة، فما يصح لك أن تتكبر فيها، إنك من الصاغرين، أي الذليلين الحقيرين.

وفي آية أخرىٰ ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، أي مرجوم، وهو المطرود المُبعَد من رحمة الله.

فعندها قال إبليس لله جل وعلا حينما يئس من رحمة الله: ﴿فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، أي أمهلني إلىٰ يوم البعث، فطلب ألا يموت، بل يبقىٰ إلىٰ آخر هذه الدنيا ليتمكن من إغواء مَن يقدر علىٰ إغوائه من بني آدم.

فعندها قال الله تعالىٰ له: إنك ممن كَتبتُ عليهم تأخيرَ الأجل إلىٰ يوم القيامة، فمَن تبعك من بني آدم فسيكون مآله هو مآلُك.

---

(١) سورة الأعراف: ١١ - ١٨.

وسبب إمهال الله لإبليس إلىٰ نهاية الدنيا أن حكمة الله تقتضي ابتلاءَ العباد واختبارَهم ليتبين الصادق من الكاذب ومن يطيع الله ومن يطيع عدوَّه إبليس، فلهذا أجاب الله سؤال إبليس فقال ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

فعندها قال إبليس لعنه الله: فبسبب أنك أغويتني، أي أهلكتني بأن جعلتَ عاقبتي النار لا محالة، لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأقعُدنَّ علىٰ الصراط الذي أمرتَهم بلزومه، وهو الدين الصحيح، وسأسعىٰ غاية جُهدي في صدِّ الناس عنه وعدم سلوكهم إياه، وسأصُدهم عن عبادة الله وحده التي فطرتَهُم عليها، وأُزيِّن لهم عبادة المخلوقات، سواء كانوا جمادات كالأصنام، أو عبادة بشر كالمسيح عيسىٰ وأمه مريم، أو عبادة الصور والتماثيل المنحوتة، ثم لآتينَّهم من جميع الجهات والجوانب، فأصُدَّهم عن الحق، وأُحسِّنَ لهم الباطل، وأُرغِّبَهم في الدنيا، وأُشكِّكَهم في الآخرة، وأُحببَ إليهم المعاصي وأُرغِّبَهم فيها، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك علىٰ أنعامك.

فعندها قال الله تعالىٰ لإبليس: اخرج من الجنة مذءومًا، أي مذمومًا، مدحورًا، أي مُبعدًا مطرودًا عن رحمة الله، فطرده مرة أخرىٰ، ثم قال: لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.

وإنما نبَّهَنا الله علىٰ ما قاله الشيطان وعزَم علىٰ فعله لنأخذَ منه حِذرنا ونحترزَ منه، فلله تعالىٰ علينا بذلك أكمل نعمة.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾(١).

شرح الآيات:

هذه آيات أخرىٰ تتحدث عن نفس القصة، ومعانيها قريبة من سابقتها، وفيها قول إبليس: أرأيت هذا المخلوق الذي ميزتَه عليَّ -يعني آدم- لئن أبقيتني حيًّا إلىٰ يوم القيامة لَأَحْتَنِكَنَّ، أي لأستولِيَنَّ ولأستأصِلَنَّ ذريتَه بالإغواء والإفساد، إلا القليل منهم، وهم المخلصون في الإيمان، جعلنا الله منهم.

فعندها قال الله مهددًا إبليسَ وأتباعَه: اذهب، فمَن تبعك مِن ذرية آدم فأطاعك فإن عقابك وعقابهم وافرٌ في نار جهنم غير منقوص.

ثم قال الله ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾، أي استَخْفِف كلَّ مَن تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلىٰ معصيتي، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، أي وأَجْمِع عليهم بكل ما تقدر عليه مِن جنودك من شياطين الإنس

(١) سورة الإسراء: ٦١ - ٦٥.

والجن، من كل راكبٍ وراجِلٍ، وهو الماشي علىٰ رجليه، والمقصود كل راكبٍ وماشٍ في معصية الله، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي واجعل لنفسك شِرْكةً معهم في أموالهم، بأن تُزيِّن لهم اكتساب المال الحرام، كالربا والرشوة والسرقة.

أما المشاركة في الأولاد فشاملٌ لكل معصية تعلقت بأولادهم، كتزيين فعل فاحشة الزنا لينتج أولاد زنا، أو عدم تأديب الأولاد وتربيتهم علىٰ فعل الخير وترك الشر، أو عدم ذكر الدعاء المشروع قبل أن يحصل جماع الزوجة، فقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله -أي يجامع زوجته- قال: (بِاسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا)، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولد في ذلك لم يَضُره شيطان أبدًا.(١)

وقد ذكر كثير من المفسرين أنه ترك التسمية (وهي قول باسم الله، ومعناها: أَبتدِئ بذكر اسم الله) عند الطعام والشراب والجِماع تدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد، وأنه إذا لم يُسَمِّ الله في ذلك شاركه الشيطان طعامه وشرابه وجِماعه.

ثم قال الله ﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾، أي عِدْ أتباعك مِن ذرية آدم بالوعود الكاذبة، كوعدِهم أنَّ ارتكاب المعاصي لن يَضرهم، وأنه لا قيامة ولا حساب، وأنه إن كان حسابٌ وجنةٌ ونارٌ فأنتم أولىٰ بالجَنَّةِ من

(١) رواه البخاري (٦٣٨٨) ومسلم (١٤٣٤) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

غيركم، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.

ثم قال الله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾، أي ليس لك أيها الشيطان سبيل تَسلُّطٍ وإغواء علىٰ عبادي المؤمنين الذين قاموا بعبوديتي، بل الله يدفع عنهم إغواءك وشرورك ويقوم بكفايتهم منك، ويكون لهم حافظًا وناصرًا ومؤيدًا.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أي أن الله سيتوكل بحفظ عباده المؤمنين، وكفىٰ به وكيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو خير وكيل وحافظ.

***

٩. خلاصة الكلام في التعريف بالشيطان (إبليس)

إبليس من الجن، قال الله في القرآن ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، والجن مخلوق من نار، كما قال الله في القرآن ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

أي: وخلقنا الجن مِن قَبْلِ خلق آدم من نار شديدة الحرارة لا دخان لها، كما قال الله في الآية الأخرىٰ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾[2]، أي خلقنا

(١) سورة الحجر: ٢٨.

(٢) سورة الرحمٰن: ١٥.

الجن -وإبليس منهم- من لهب النار المختلط بعضه ببعض.

وإبليس كان عابدًا لله، أمره الله بعبادته وطاعته، فكان كذلك مدةً لا يعلمها إلا الله، ثم لما خلق الله آدم أمره الله وأمر الملائكة أيضًا بالسجود له سجود تحية، إكرامًا له وإظهارًا لفضله، سجدت الملائكة كلهم إلا إبليس أبىٰ واستكبر، وكان دافع ذلك هو الحسد والكِبر لآدم، قال الله في القرآن العظيم ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾، فصار إبليس من الجاحدين لأمر الله، الكافرين به، قال الله في القرآن ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

فالشيطان كافر، والكُفر هو جحد الحق ورده، قال الله تعالىٰ عن الشيطان: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾(١)، وقال الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾(٢).

ثم لما كفر إبليس وردَّ أمْرَ الله طرده الله من جنته، قال الله في القرآن ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾، أي اخرج من الجنة ممقوتًا مطرودًا.

ثم اتخذ إبليس عهدًا علىٰ نفسه أن يُغوي بني آدم، إلا مَن كان منهم

---

(١) سورة الإسراء: ٢٧.

(٢) سورة مريم: ٤٤.

معتصمًا بالدين الصحيح الذي شرعه الله، فإنه لا يستطيع إليه سبيلًا، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾.

وأول مظاهر عداوة الشيطان للإنسان لإيقاعه في معصية الله هو إغواؤه لأبينا آدم وزوجته حواء للأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها كما سيأتي في الفصل التالي.

وكلمة (إبليس) مشتقة من الإبلاس وهو الإياس أو اليأس، أي الإياس من رحمة الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

***

١٠. استخلاف الله لآدم وذريته في الأرض

جاء الخبر في القرآن الكريم بأن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال للملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة، أي قومٌ يخلف بعضهم بعضًا لعمارة الأرض، ولم يكن يومئذ علىٰ وجه الأرض أحد، ولم يذكر الله للملائكة أنه آدم، قال الله في القرآن العظيم ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾.(١)

(١) سورة البقرة: ٣٠.

فلما قال الله للملائكة ذلك أرادت الملائكة معرفة الحكمة منه فقالوا: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم مَن سيُفسد في الأرض ويَسفك الدماء بالقتل؟

والملائكة سألوا هذا السؤال لعلمهم أن الجن كانوا في الأرض قبل أن يخلق الله آدم، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندًا من الملائكة فضربوهم، حتىٰ ألحقوهم بالجُزُر التي في البحار، فلهذا لما قال الله للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل الجنُّ قبلهم؟ فإن كان المراد عبادتَك يا ربنا، فنحن نسبح بحمدك ونصلي لك.

فقال الله تعالىٰ مجيبًا لهم عن سؤالهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق آدم وجعلِه في الأرض ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأُرسل فيهم الرسل، وسيوجد فيهم الصِّديقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون المتبعون لرسلي.

وفي هذه الآية الكريمة بيان أن الله لم يمنع السؤال، بل إن باب السؤال مفتوح لمن أراد أن يعلم الحكمة من الأوامر والنواهي الإلٰهية، ليعظُم إيمان الناس بما علِموه، ويَعظُم إيمانهم بصفة الحكمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا حث الله

نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العلم والسؤال والتبصر بالدين فقال له ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[1].

ومما ينبغي أن يُعلم أن قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ليس المقصود منه الاعتراض على الله، بل هو سؤال بحسب ما بلغه فهمهم، وليس قصدهم الاعتراض على الله، أو الحسد لبني آدم، وإنما هو سؤال استعلام لمعرفة الحكمة الإلٰهية من خلق آدم وجَعْلِهِ يعيش مع ذريته في الأرض.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يخبر الملائكة بتوقيت ذلك الاستخلاف، وإنما أخبر عن حصوله في المستقبل فحسب.

وللعلم فهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تتحدث عن استخلاف آدم في الأرض.

***

١١. تعليم الله لآدم الأسماء كلها

قال الله تعالى بعد ذِكر الآيات المتقدمة المتعلقة باستخلاف آدم وذريته في الأرض: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ

(١) سورة طه: ١١٤.

أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.(١)

شرح الآيات:

بعد خلق آدم، وتبعًا لتلك المحادثة بين الله والملائكة لـمَّا أعلمهم باستخلاف آدم وذريته في الأرض؛ علَّم الله آدم أسماء الأشياء كلِّها، كأسماء الحيوانات وأنواع الطعام وغير ذلك، ثم عرض تلك الـمُسمَّيات علىٰ الملائكة، **ليظهر شرف آدم بكونه يعلم أشياء لا تعلمها الملائكة**، فقال الله لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات إن كنتم صادقين في أفضليتكم من آدم.

فعندها لم تعلم الملائكة الإجابة، فقالت: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾، أي: نُـنَـزِّهك يا ربَّنا، ليس لنا علم إلا ما علَّمتنا إياه، إنك أنت وحدك العليم بشئون خلقك، الحكيم في تدبيرك.

فعندها قال الله لآدم: يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجَزوا عن معرفتها، فلما أخبرهم آدم بها ظهر شرفه عليهم بأنْ عَـلِم ما لم يعلموه.

فعندها قال الله للملائكة: لقد أخبرتكم فيما سبق بأني أعلم ما خفي عنكم في السماوات والأرض، وهو الحكمة من خلق آدم وفضله، والآن تبين فضله عليكم بالعلم، فتبينت بهاتين الحادثتين الغرض منهما.

---

(١) سورة البقرة: ٣١ - ٣٣.

وللعلم فهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تتحدث عن تعليم آدم الأسماء، وتفضيله علىٰ الملائكة بعلم ما لم يعلموه.

***

١٢. قصة آدم لما أكل من الشجرة التي حرَّم الله عليه الأكل منها

نهىٰ الله جلَّ ثناؤه أبانا آدم وزوجته أمَّنا حواء عن أكل ثمار شجرةٍ بعينها من أشجار الجنة، دون سائر أشجارها، فأغواهما الشيطان بالأكل منها، فأخطأَا فأكلَا منها، فإن البشر بطبيعتهم غير معصومين عن الوقوع في الخطأ، ثم تابَا وطلبَا من الله المغفرة فغفر الله لهما ذنبهما، لأن الله رحيم بعباده، يقبل توبة من أخطأ منهم ثم تاب، فإنه يعلم منهم طبيعة الخطأ لأنه خلقهم غير معصومين، فمحا الله عنهم ذنبهم، وانتهىٰ الأمر بحمد الله.

وقد جاء ذكر قصة أكلهما من الشجرة في مواضع من القرآن الكريم، قال الله تعالىٰ ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.(١)

(١) سورة البقرة: ٣٥ – ٣٩.

كما جاء ذكر قصة أكل آدم وحواء من الشجرة في موضع آخر من القرآن في سورة الأعراف، قال تعالىٰ ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.(١)

كما جاء ذكر قصة آدم وأكله من الشجرة في موضع ثالث من القرآن في سورة طٰه، قال تعالىٰ ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.(٢)

---

(١) سورة الأعراف: ١٩ – ٢٥.

(٢) سورة طٰه: ١١٥ – ١٢٢.

شرح الآيات:

نهىٰ الله جلَّ ثناؤه أبانا آدم وزوجته حواءَ عن أكل ثمار شجرةٍ مُعَيَّنَةٍ من أشجار الجنة، الله أعلم ما هي تلك الشجرة، فإن الله لم يذكر اسم تلك الشجرة، وقد قيل إنها شجرة البُرِّ، وقيل كانت شجرة العنب، وقيل إنها شجرة التين، وعلىٰ كل حال فالعلم بنوع تلك الشجرة لا يترتب عليه عمل وفائدة، والجهل به لا يضر، ولو كان في العلم به خير لأخبر الله به.

وقد حذَّر الله عبده آدم من إغواء الشيطان، وبين له أن الشيطان حريص علىٰ إغوائه ليوقعه في معصية الله، ليخرج بذلك من الجنة، ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾، أي إنك إن استمعت إلىٰ إغواء الشيطان فسيكون عقاب ذلك الخروج من الجنة، ثم تتعرض للشقاء، بالكدح والعمل في الأرض، بدلا أن تكون مُنَعَّما في الجنة، قال الله لآدم ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾، أي لك إن بقيتَ في الجنة أن تخلد فيها، لا تجوع، ولا تعرىٰ من اللباس، بل تلبس لباس أهل الجنة من الحرير والديباج، وأنك لا يُصيبك العطش، ولا تضحىٰ، أي لا يُصيبك الحر الشديد.

ولكن الشيطان حسد آدم علىٰ هذه النعمة، فأغواه وزوجته، ووسوس لهما وزيَّن لهما الأكل من الشجرة التي حرَّم الله عليهما الأكل منها، وأقسم لهما

أنه ناصح لهما في مشورته عليهما، وهو كاذب في ذلك، ومما قاله لهما ليمكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل من ثمار هذه الشجرة من أجل ألا تكونا ملَكَين، ومن أجل ألا تكونا خالدَين في الحياة، فانطلت عليهما خِدعة إبليس لعنه الله، فأكلا منها، فغضب الله عليهما، وقال لهما ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مُبين، أي ظاهر العداوة؟

فنزع الله عنهما لباسهما، لباس أهل الجنة، عقوبة لهما علىٰ تلك الخطيئة، فراحا يغطيان عوراتهما بأوراق الجنة كما قال تعالىٰ ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾، أي: فأخذَا ينزِعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه علىٰ أنفسهما ليسترَا ما انكشف من عوراتهما.

فلما علِم آدم وحواء بأنهما أخطأَا ندِمَا ندمًا عظيمًا، وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أي مِمَّن أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأُخراهم.

فاستغفرَا الله، أي طلبَا منه المغفرة وقبول التوبة، فألهمهما الله أن يقولَا كلمات فيها دعاء وتذلل واستغفار، فقالاها، قال الله تعالىٰ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[1]، والكلمات هي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2]، فلما قالاها تاب الله عليهما وغفر ذنبهما، كما

(١) سورة البقرة: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف: ٢٣.

قال تعالىٰ ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[١]، لأن الله تعالىٰ رحيم بعباده، يَقبل يَقبل توبة من أقبل عليه طالبًا المغفرة والعفو، كما قال تعالىٰ عن نفسه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾[٢].

ثم بعد ذلك أهبط الله آدم وحواء من الجنة إلىٰ هذه الأرض التي نعيش عليها، ليستقر آدم وذريته في الأرض إلىٰ آخر الدنيا، ثم يبعثهم الله يوم القيامة ويحاسبهم، فمن اختار طريق الإيمان كان مصيره إلىٰ الجنة، ومن أعرض عن الإيمان كان من أهل النار عياذًا بالله، قال الله تعالىٰ ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥﴾[٣].

***

١٣. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم: التحذير من اتباع الشيطان

الشيطان عدو للإنسان كما تبين معنا، قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾[٤]، ولهذا أمر الله بالحذر منه، قال الله تعالىٰ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ

---

(١) سورة طه: ١٢٢.

(٢) سورة الشورىٰ: ٢٥.

(٣) سورة الأعراف: ٢٤، ٢٥.

(٤) سورة يوسف: ٥.

يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾. (١)

في هذه الآيات حذر الله تعالىٰ بني آدم من أن يفتنَهم الشيطان فيوقعَهم بالمعاصي كما فعل بأبيهم: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، ومعنىٰ يفتِنكم أي يزين لكم العصيان ويدعوكم إليه ويرغبكم فيه فتنقادون له، ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾، أي كما أنزلهما من المَحل العالي وهو الجنة إلىٰ ما هو أدنىٰ منه وهو الأرض، فأنتم أيها الناس يريد الشيطان أن يفعل بكم كذلك حتىٰ يَفتِنكم عن الطريق الصحيح إن استطاع، فيُزيِّن لكم عدم اتباع النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتتخبطون في المعاصي وفي الآراء والتحريفات، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن لا تَغفُلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم، وتستقيموا علىٰ طاعة الله وعلىٰ دين الإسلام، إِنَّهُ (أي الشيطان) يراقبكم علىٰ الدوام هُوَ وَقَبِيلُهُ، أي أتباعه من شياطين الجن مِمَّن هم من ذريته، فإن الشيطان له ذرية، كما قال الله تعالىٰ عن إبليس ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ (٢).

فالحاصل أن إبليس وجنوده وهم الشياطين يرون الناس من حَيْثُ لَا يرَوْنَهُمْ، لأن الجن لا يراهم الناس بمقتضىٰ خِلقتهم.

---

(١) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

ثم قال الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾، أي: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ وأصفياءَ ومُحِبِّين للكافرين الذين لَا يُؤْمِنُون، فعدم الإيمان الصحيح هو الموجب لعقد الولاية والصِّلة بين الإنسان والشيطان، كما قال تعالىٰ ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾(١).

والحذر من الشيطان يكون باتباع ثلاث خطوات:

الأول: الاستعاذة من الشيطان، قال الله تعالىٰ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾(٢).

والاستعاذة هي قول: (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**)، أي ألتجئ وأعتصم بالله من الشيطان الرجيم، والرجيم أي المرجوم، وهو المُبعَد المطرود من الخيرات ومن رحمة الله.

الثاني: الحذر من اتباع خطوات الشيطان، كما قال تعالىٰ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾(٣)، وخطوات الشيطان هي المعاصي علىٰ اختلاف أنواعها، سواء الشرك بالله أو البِدع أو ما دونها من

---

(١) سورة النحل: ٩٩، ١٠٠.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠٠.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٢.

المعاصي من الكبائر والصغائر، مثل السرقة والزنا وعقوق الوالدين وشرب الخمر ونحو ذلك.

الثالث: اتِّباع الأنبياء، وآخرهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو النبي الخاتمي، الذي أرسله الله بدين الإسلام، ناسخًا لما تقدم من الشرائع، وخاتِمًا لها، قال الله تعالىٰ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(١).

***

١٤. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم لما أكل من الشجرة:

إثبات بطلان عقيدة توارث الذنب الأصلي التي يعتقدها النصارى، ولنا معها عشر وقفات

١. أبونا آدم بشرٌ مثلنا، وأمنا حواء بشر مثلنا، والبشر من طبيعته الخطأ، فلما أخطأَا وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها؛ استغفرَا ربهما وتابا إلىٰ الله فغفر الله لهما **وانتهىٰ الأمر**، ولم تبق الخطيئة في ذمتهما، فضلًا عن انتقالها إلىٰ ذريتهما عبر الأجيال والقرون كما يعتقده النصارىٰ.

٢. ثم إن الناس الذي تناسلوا من ذريتهما إلىٰ يوم القيامة ليس لهم ذنب

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

أصلًا في الأكل من الشجرة، فإنهم لم يأمروا أباهم بذلك ولم يشاركوه في الأكل، وبناء عليه لو أن الله سيؤاخذ البشر بذنب أبيهم **لكان ظالمًا** -حاشاه من ذلك-، لأنهم لم يتسببوا في ذلك الخطأ أصلًا، فبأيِّ حقٍّ يتحملون شيئًا لم يفعلوه، كيف وقد علمنا أن الله قد غفر لآدم وحواء ذنبهما فلم يبق لذلك الذنب وجود أصلًا؟!

قال الله تعالىٰ: يا عبادي **إني حرمت الظلم علىٰ نفسي** وجعلتُه بينكم مُحَرَّمًا فلا تظالموا.(١)

٣. تحميل الإنسان ذنب غيره يُعتبر من القبائح التي يترفَّع عنها البشر، فكيف يليق وصفُ رب البشر بذلك، فلو أن أحدًا من الناس حَمَّل شخصًا آخر علىٰ خطأ ارتكبه جَدُّه العاشر لاعتَبر ذلك سفهًا في العقل، لأن الأول لم يكن متسببًا في خطأِ الجد، فكيف يُحمَّل تبعاته؟!

بل كيف وهو لم يكن موجودًا علىٰ سطح الأرض لما ارتكب جده ذلك الخطأ؟!

فإذا كانت مؤاخذة الإنسان بذنب غيره لا تليق بالمخلوق، فكيف يليق وصف الخالق بها وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الذي هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؟!

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أم أننا نُحسِنُ وصفَ الله بأوصاف النقص ووصفَ أنفسنا بصفات الكمال؟!

إن مقتضىٰ هذا الكلام أن البشر أحسن من الله، وهذا لا يقوله عاقل منصف، تعالىٰ الله عن ذلك.

٤. لو كان الأطفال يولدون مُذنبين -كما تنص علىٰ هذا عقيدة توارث الخطيئة- لكان هذا مذكورًا في كتب الأنبياء قبل المسيح، والواقع أنه غير مذكور في أي شريعة سماوية، والتوراة التي أنزِلت قبل المسيح لا يوجد فيها شيء من ذلك، فدل علىٰ ذلك علىٰ أن هذه العقيدة خرافية وليست حقيقية، بل هي مُدخَلة في دين المسيح.

نعم، لو كانت تلك العقيدة واقعية فعلًا لأرشد الأنبياء -ممن جاءوا قبل عيسىٰ- أقوامَهم للتخلص من تلك الخطيئة، لأن الأنبياء مرسلون من عند الله، ووظيفتهم بيان طريق النجاة من النار لأقوامهم، وبيان طريق الوصول للجنة، أعني الأنبياء مثل موسىٰ وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم.

٥. ومن دلائل بطلان تلك العقيدة وبيان أنها أُدخِلت في شريعة عيسىٰ الأصلية (وهي منها براء) هو السؤال الذي يطرح نفسه: ما حال الناس الذين ماتوا بعد آدم وقبل ولادة المسيح عيسىٰ؟

مقتضىٰ تلك العقيدة أنهم كلَّهم سيذهبون للجحيم لأنهم لم يتطهروا من ذلك الذنب المزعوم!

وكيف يتطهرون منها وهم وُلِدوا قبل مجيئه كمُخَـلِّص وحيد من الخطيئة المزعومة -كما يعتقدون-؟!

هذه قمة المعاندة للعقل والمنطق.

٦. لو كانت عقيدة توارث الخطيئة تنص علىٰ أن عيسىٰ **سيطلب من الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **ويدعوه** لأنْ يغفر للناس ذنبهم الذي توارثوه (علىٰ افتراض صحة عقيدة توارث الخطيئة) لكان هذا التصرف مقبولًا إلىٰ حدٍّ ما، فإن دعاء الناس لبعضهم أمر مطلوب، فهذا يدعو الله أن يسامح هذا ويغفر له ذنوبه، وهذا يدعو الله أن يوفق هذا في الامتحان، وهذا يدعو الله أن يُدخِل ذاك الجنة، وهكذا، أما أن يقتل الإنسان نفسه ليغفر الله للناس فهذا تصرف لا علاقة له بالمغفرة، وما الذي يحبه الله في هذا التصرف؟!

٧. الأناجيل المتوافرة بيد النصارىٰ تشهد بأن الإنسان يحاسب علىٰ عمله، سواء كان خيرًا أو شرًّا، ولا يتعدَّىٰ الذنب صاحب الذنب إلىٰ غيره، لا أبناءه ولا غيرهم، فبناء عليه فذنب أبينا آدم لم ينتقل لأبنائه، فبطلت بذلك عقيدة توارث الخطيئة.

انظر تلك الأدلة الإنجيلية في كتاب:

أربعون دليلًا علىٰ بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح(١)

٨. ثم لو افترضنا -**مجرد افتراض**- أن خطيئة أبينا آدم لم يغفرها الله، وأنـها انتقلت عبر الأجـيال وتوارثها الناس، وأن علىٰ كل إنسان أن يطهر نفسه منها، ففي هذه الحالة يجب علىٰ كل فرد أن يتوب منها بنفسه، ولا يعتمد علىٰ الآخرين، سواء كان المسيحَ عيسىٰ ابن مريم أو غيرَه، لأنها في عنقه وليست في عنق غيره، فإن الله شرع الأديان لكي يعمل الناس ويقوموا بالعلاقة المباشرة بينهم وبين خالقهم ورازقهم وهو الله، أما أن يعمل عنهم غيرهم بالنيابة عنهم فكيف تحصل العبودية منهم لله خالقِهم ورازقِهم؟

ولهذا فقد علَّمنا الله طلب المغفرة منه إذا نحن أذنبنا، ووعدنا بالمغفرة إن كنا صادقين في ذلك، كل هذا لتحقيق العبودية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليكون الاتصال بيننا وبينه مباشرًا، ولم يطلب الله من نبيه عيسىٰ إطلاقًا قتْلَ نفسه لتكفير خطايا الناس، فهذا الاعتقاد يتنافىٰ مع صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (الرحيم، الغفور، التواب).

---

(١) هذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بنفس العنوان.

قال الله تعالىٰ في القرآن حاثًّا عباده علىٰ التوبة من الذنوب ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾[1].

وقال الله تعالىٰ في وصف المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[2].

---

(١) سورة الزمر: ٥٣-٦١.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٥، ١٣٦.

٩. أيها القارئ الكريم: قد بين الله في خمسة مواضع من كتابه (القرآن الكريم) أنه لا تزر وازرةٌ وزر أخرىٰ، والوِزرُ هو الإثم، والمعنىٰ لا تتحمل نفسٌ إثمَ نفس أخرىٰ، بل كل إنسان يتحمل حسناته وسيئاته، فإذا كان يوم القيامة تجازىٰ كل نفس بما كسبت، قال الله تعالىٰ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾، يعني كل إنسان مرتهَن بعمله يوم القيامة، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ولا يؤاخذ الله أحدًا بذنب غيره، وهذا مقتضىٰ العدل والإنصاف.

فبهذه الأدلة التسعة يتبين لنا بطلان عقيدة توارث الذنب الذي ارتكبه أبونا آدم إلىٰ جميع بنيه من عشرات القرون، تلك العقيدة الخرافية التي يعتقدها جماهير النصارىٰ (المسيحيين) في طول العالم وعرضه، والتي تنص علىٰ أن جميع الخليقة تستحق العقوبة علىٰ ذنب أبينا آدم مع كون البشرية لم تباشره ولم تقع فيه، وهذا الظن لا يصح نسبته للبشر العاديين، فمن باب أولىٰ لا تصح نسبته إلىٰ الله الرحيم العادل، **لأن الله له صفات الكمال**.

كما لا تصح نسبة هذه العقيدة إلىٰ شريعة عيسىٰ ابن مريم التي جاء بها، فالإنجيل الذي جاء به عيسىٰ ابن مريم وصفه الله بأن فيه هدىٰ ونورًا، وجاء لهداية أمة بني إسرائيل، فرسالة عيسىٰ الأصلية هي

للهداية والإرشاد، ولم تأتِ لتعذيب الناس، وتحميلهم ذنوبَ غيرهم.

١٠. ومن جهة أخرىٰ فإن الحق الذي لا مرية فيه أن الله خلَّص نبيَّه العظيمَ المسيحَ عيسىٰ ابنَ مريم من مؤامرة القتل، ولم يُصلَب أصلًا، بل رفعه الله إلىٰ السماء في معجزة إلٰهية لم تحصل لنبي قبله، وحماه من القتل والصلب، فإن الله لما بعث عيسىٰ ابن مريم بالبينات والهدىٰ، حسده اليهود علىٰ ما آتاه الله تعالىٰ من النبوة والمعجزات الباهرات، فقد كان يُبرِئ الأكمه -وهو الذي وُلِد أعمىٰ- فيمسح بيده عليه فيكون بصيرًا، وكان يُبرِئ الأبرص ويُحيي الموتىٰ بإذن الله، ويُصوِّر من الطين طائرًا ثم يَنفخ فيه فيكون طائرًا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، يُشاهَد طيرانُه، إلىٰ غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها علىٰ يديه، ومع هذا كذَّبه اليهود وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حسدًا من عند أنفسهم، حتىٰ صار نبي الله عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يُساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام في البلدان، ثم لم يُقنعهم ذلك الخروج من بلدته، فسعوا إلىٰ مَلِك دمشق في ذلك الزمان -وكان رجلًا مشركًا من عَبَدَةِ الكواكب-، وقالوا له إن ببيت المقدس رجلًا يفتِن الناس ويُضلهم ويُفسدهم علىٰ المَلِك، فغضِب الملك من هذا، وكتب إلىٰ نائبه بالمقدس أن يحتاط علىٰ هذا المذكور، أي

يُحيط هو ورجاله ببيته، وأن يَصلبه ويضع الشوك علىٰ رأسه، ويكُفَّ أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب إلىٰ والي بيت المقدس ذهب هو وطائفة من اليهود إلىٰ المنزل الذي فيه عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع جماعة من أصحابه، اثني عشر أو ثلاثة عشر، وقيل: سبعة عشر نفرًا، وكان ذلك في يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحاصروه، فلما أحسَّ المسيح عيسىٰ ابن مريم بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه: أيكم يُـلقَىٰ عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟

أي: أيُّـكُـم يرضىٰ بأن يجعله الله شبهي، ويفتديني من أذاهم، ويكون ثوابه أن يكون رفيقي في الجنة؟

فقام شاب منهم وانتدب نفسه لذلك، ولكن المسيح استصغر سِنَّهُ، فأعاد المسيح الطلب ثانية وثالثة، وفي كل مرة لا يقوم إلا ذلك الشاب، عازمًا علىٰ أن يفتدي المسيح بنفسه لئلا يصيب المسيح أذىٰ، فلما رأىٰ المسيح تصميم الشاب قال له: (أنت هو)، أي: ستكون أنت الشخص الذي يقوم بهذه المهمة، فألقَىٰ الله عليه شبه عيسىٰ، حتىٰ صار كأنه المسيح، وفُتحت نافذة من سقف البيت، وأخذَت عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سِنةٌ من النوم، أي إغفاءة، فرُفِع إلىٰ السماء وهو كذلك، لم يصبه سوء، ولم يستطع اليهود أن يؤذوه ولا أن يلطخوه بشيء، كما

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1]، فقوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي مُتوفيك بالنوم، فأخذَتِ المسيح إغفاءة، وقوله ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي أنه رفعه قبل أن يتعرضوا له بقتل ولا صلب ولا غيره، فسبحان من بهر بقوته العقول.

فلما رُفِعَ إلىٰ السماء خرج أولئك النفر أصحاب المسيح من البيت، فلما رأىٰ أولئك المحيطين بالبيت ذلك الشاب ظنوا أنه عيسىٰ، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك علىٰ رأسه، وأظهر اليهود أنهم سَعوا في صلبه وتبجَّحوا بذلك، وصدَّقهم طوائف من النصارىٰ لجهلهم بحقيقة الأمر ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفْعَه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم.

وهذا كله من امتحان الله لعباده، فله في ذلك الحكمة البالغة.

وقد أوضح الله الأمر وجلَّاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله علىٰ رسوله الكريم، المؤيَّد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات،

---

(١) سورة آل عمران: ٥٥.

فقال تعالىٰ -وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المطلع علىٰ السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السماوات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون-، قال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، أي: رأوا شبَهه فظنوه إياه، ثم قال ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾، يعني بذلك من ادَّعىٰ قتله من اليهود، ومن صدَّقهم من النصارىٰ، ثم قال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾، أي: وما قتلوه متيقنين أنه عيسىٰ، بل شاكِّين متوهمين.

ثم قال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾، أي أن الله عزيز، أي غالب، منيع الجناب، وقد تبينت هذه العزة والغلبة في هذه القصة العظيمة التي نجَّىٰ الله فيها نبيه الكريم من الأذىٰ والإهانة، ثم وصف نفسه بقوله ﴿حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ أي أنه حكيم في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها، ويضع الأمور مواضعها، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم.

فصل

وقد افترق النصارىٰ بعد رفع المسيح إلىٰ ثلاث طوائف وفرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلىٰ السماء. وهؤلاء هم اليعقوبية، زعموا أن عيسىٰ هو الله، تعالىٰ الله عن ذلك.

وقالت فرقة: كان فينا (ابن الله) ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء هم النسطورية، تعالىٰ الله عن أن يتخذ والدًا.

وقالت فرقة: كان فينا (عبد الله ورسوله) ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء هم أتباع المسيح حقًّا، الذين لم ينحرفوا عن الاعتقاد الصحيح فيه، ولم يعظموه التعظيم الزائد عن الحد المسموح، ولم يصفوه بشيء من أوصاف الألوهية ولا الربوبية.

فتظاهرت الطائفتان الكافرتان علىٰ الطائفة المستقيمة فقتلوها، فلم يزل الحق مطموسًا حتىٰ بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدين الإسلام، ليبين للناس الاعتقاد الصحيح في المسيح عيسىٰ ابن مريم.[1]

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» لعماد الدين ابن كثير، و «تفسير ابن أبي حاتم»، عند تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ...﴾، سورة النساء: ١٥٧ - ١٥٨.

تنبيه:

هذه المعجزة الإلٰهية التي حصلت للمسيح (نجاته من القتل والصلب ثم رفعه إلىٰ السماء) هي أعظم من معجزة حمله من أمٍّ بلا أب، فمن صدَّق بهذه فمن باب أولىٰ أن يُصدِّق بهذه، ومن كان مُعظِّمًا للمسيح عيسىٰ ابن مريم فلا ينبغي أن يستكثر حصولَ هذه المعجزات له، فإن الله يجعل المعجزات لمن شاء وكيف شاء ومتىٰ شاء، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالحاصل أن النصارىٰ أخطئوا في اعتقادهم بالمسيح عيسىٰ ابن مريم خطأً عظيمًا، فالحق في وادٍ وهم في وادٍ آخر، فإن الله كرَّم نبيَّه عن الإهانة والذل، ورفعه إليه في السماء، وسينزل في آخر الزمان إلىٰ الأرض قبل يوم القيامة، كما قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«والَّذي نفسي بيده ليُوشِكنَّ أن يَنزِل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيَكْسِر الصليب، ويقْتُل الخنزير، ويضع الجِزيَة ، ويَفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد، حتىٰ تكون السَّجـدة الواحِدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

ثم قال راوي الحديث: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

قوله «فيَكسر الصليب» أَيْ يُبْطِل دِينَ النَّصْرَانِيَّة بِأَنْ يَكْسِر الصَّلِيب حَقِيقَةً، وَيُبْطِل مَا تَزْعُمهُ النَّصَارَىٰ مِنْ تَعْظِيمه.

قوله «ويضع الجزية» أي لا يقبلها من أحد من اليهود أو النصارىٰ، مِمَّن يدفعها إلىٰ المسلمين مقابلَ استمتاعه بالبقاء تحت حكم المسلمين، بل لا يقبل

المسيح إلا الدخول في دين الإسلام لأنه هو نفسه سيكون في دين الإسلام إذا نزل، مصليًا مع جماعة المسلمين، حاكمًا عليهم بشريعته.

قوله «**ويَفيض المال**» أي يكثر في زمن نزول عيسىٰ ابن مريم، وَسَبَب كَثْرَته نُزُول الْبَرَكَات وَتَوَالِي الْخَيْرَات بِسَبَبِ الْعَدْل وَعَدَم الظُّلْم.

قَوْله: «**حَتَّىٰ تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، أَيْ إن الناس حينئذ يَرْغَبُونَ عَنْ الدُّنْيَا ويُعرِضون عنها حَتَّىٰ تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة لربهم أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لعلمهم بقرب قيام الساعة، وذهاب زمن العمل الصالح.

وفي هذا إشارة أيضًا إِلَىٰ صَلَاح النَّاس وَشِدَّة إِيمَانهمْ وَإِقْبَالهمْ عَلَىٰ الْخَيْر، فَهُمْ لِذَلِكَ يُؤْثِرُونَ الرَّكْعَة الْوَاحِدَة عَلَىٰ جَمِيع الدُّنْيَا.

ثم قال الله تعالىٰ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

أي: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار،

وحينئذ يعلم كل عابد لعيسىٰ أنه كان مخطئًا، وأن اتخاذه ربًّا وإلـٰهًا ليس من دين عيسىٰ ولا محمد ولا موسىٰ ولا أي واحد من الأنبياء، ويندم حين لا ينفع الندم.

أيها القارئ والقارئة المنصفَين العادلَين:

بعد قراءتكما لهذه القصة،

من الأحق بتعظيم المسيح: المسلمون، أم النصارى واليهود؟

تنبيهات عامة

• مما ينبغي علمه أن أصل هذه العقيدة الخرافية الباطلة -عقيدة الفداء- هو إدخال بولس لهذه العقيدة في دين المسيح عيسىٰ ابن مريم ثم عبث القساوسة في دين المسيح علىٰ مدىٰ قرون متطاولة بعد رفع المسيح، والكلام في هذا يطول، وأُحيل القارئَ الكريم إلىٰ بحثٍ يثبت ذلك من المصادر الإنجيلية الكنائسية وعنوانه: «التغير التدريجي في رسالة عيسىٰ ابن مريم الصحيحة علىٰ مدىٰ عشرين قرنًا».(١)

• إن الإنجيل الأصلي «الكتاب المقدس» الذي كان بيد المسيح عيسىٰ ابن مريم والحواريين لم يُحفظ، وليس له وجود بعد رفع المسيح، وقد حَلَّ مكانه أربعة أناجيل كتبها أربعة أشخاص (متىٰ، مرقس، لوقا، يوحنا)، وملحقٌ معها ثلاثة وعشرون رسالة، كلها قد أُلِّفت بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرًا، وقد بدأ تدوين الأناجيل الأربعة من سنة ٣٧م إلىٰ سنة ١١٠م، وهؤلاء الأربعة لم يثبت أن التقوا بالمسيح ولو للحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلىٰ السماء، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.

وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة والأربعين (المكونة من التوراة

---

(١) هو منشور في شبكة المعلومات بنفس العنوان.

وغيرها) إلىٰ أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلِّها.

يضاف إلىٰ ذلك أن هذه الأناجيل الأربعة يتم تحديثها بشكل مستمر مِن قِبَل متخصصين في الأناجيل، ويكتشف هؤلاء المتخصصون -بحسب قولهم- أن هناك عباراتٍ مقحمةً في النص الأصلي منها، فيُخرجون نسخة جديدة من الأناجيل revision يقولون إنها منقحة من تلك العبارات التي اكتشفوا أنها مقحمة في النص، فبناء علىٰ هذا فلا يستطيع باحث أو عالم منصف أن يقول إن الأناجيل الأربعة محفوظة كما هي كما كتبها مؤلفوها، فضلًا عن أن يقولوا إنها -أو واحد منها- تُـمَثِّـل النص الأصلي للإنجيل الذي كان بيد المسيح والحواريين.

فبناء علىٰ هذا فإن الرجوع إلىٰ هذه الكتب التي تسمىٰ أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسىٰ ابن مريم الأصلية خطأ فادح، لأنه رجوع إلىٰ كلام البشر الذي يعتريه الصواب والخطأ، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها، وليس رجوعًا إلىٰ كتاب الله المقدس ((الإنجيل الأصلي)) الذي أنزله الله علىٰ المسيح عيسىٰ ابن مريم، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها النصارىٰ ((المسيحيون)) هي فِعلًا الإنجيل الأصلي لَـمَا تعددت ولَـمَا تناقضت فيما بينها، لأنه من المعلوم قطعًا أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو كتاب واحد، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة.

وهذا الشيء يعرفه القساوسة في داخل نفوسهم، ولكنهم مع الأسف لا يقبلون أن يناقشهم فيه أحد من الناس «الرعية» مناقشة عقلية لأنهم يعجزون عن إجابته، ولأنه إذا انكشف فإنه سيهدم كيانهم من الأساس، فلهذا يلجئون إلىٰ التحايل علىٰ عقول الناس بالترغيب والترهيب، فتارة يقولون للرعية إنهم ليس لهم حق في السؤال، وإذا حصل إلحاح من السائل ورأوا فيه الجرأة والشجاعة استعملوا معه أسلوب الإرهاب، فيهددونه بالقتل، ويسجنونه في الكنيسة، ويضربوه ضربًا مبرِّحًا من قِبَل أُناس مخصَّصين لهذه المهمة (الشريفة)، وإذا كان السائل امرأة أخذوها عندهم واغتصبوها واستمتعوا بجسدها، وضربوها ضربًا عنيفًا، فالخط الأحمر عند رجال الكنيسة هو العلم والفهم والسؤال والاقتناع، والخط الأخضر عندهم هو الانقياد والتبعية والتقليد الأعمىٰ، ومن خالف ذلك شبرًا فسيعرف مصيره بين عصابات الكنيسة المخصصين لهذه المهمة.

ومع هذا فقد انتبه لهذا الكيد الكنائسي بعضُ مَن عنده أَنَفة وثقافة ووفورُ عقل، فمَحَّصَ كلامهم بنفسه، وسأل عن الدين الحق، وقارن بين هذا وهذا، ووصل إلىٰ النتيجة بنفسه، ثم تبين له الدين الصحيح من الدين الخطأ، لأن الإنسان إذا كان صادقًا بينه وبين ربه (الله) فإن الله لن يتركه حائرًا، بل سَيَدُلُّهُ إلىٰ الدين الحقيقي، لأن الله رحيم بعباده، يفرح بإقبال عبده إليه.

● وبمجموع ما تقدم تبين لنا كيف صحَّحَ دين الإسلام هذا المفهوم، مفهوم خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء، وما تبعه من عقيدة الصلب والفداء، بعد أن تخبط الناس في ذلك دهورًا تقارب الستة قرون، منذ رُفِع المسيح إلىٰ نزول

القرآن، وأصل ذلك التخبط عدم حفظ رهبان النصارىٰ للإنجيل الذي كان بيد المسيح، وكتابة أناجيل من عند أنفسهم، وهي إنجيل متىٰ ويوحنا ومرقص ولوقا، ثم قالوا هذا كلام الله.

فتغير دين المسيح ابن مريم تغيرًا عظيمًا، فبدلًا من عبادة الله وحده صاروا يعبدون عيسىٰ ابن مريم وأمه، فتحول دين المسيح من تقرير التوحيد إلىٰ تقرير التثليث.

وبدلًا من اعتقادهم بأن عيسىٰ ابن مريم كان بشرًا رسولًا، صاروا يعتقدون أنه هو الله، وأناس يعتقدون أنه ابن الله، وأناس يعتقدون أنه ثالث ثلاثة، وينفون عنه أنه بشر رسول، أرسله الله إلىٰ بني إسرائيل.

فالإسلام جاء ليبين الحقيقة للناس كلهم، لأنه الدين الخاتم والنهائي، ولأنه الدين المحفوظ بأمر الله الكوني من التلاعب والتحريف، فبين أن تلك الخطيئة قد غفرها الله لآدم بعد حصولها منه مباشرة، فلم يعُد لها وجود.

فالإسلام جعل المسألة واضحة كالشمس، ليس فيها غموض ولا أسرار، لأنه دين الله الذي أنزله الله علىٰ البشر، والله لم يجعل علىٰ الناس أغلالًا وتشديدًا وغموضًا، وإنما يتصف الدين بالتشديد إذا خالطتْه تحريفاتُ البشر، ومن ذلك عقيدةُ الصلب والفداء وربوبية عيسىٰ ابن مريم.

وقد نسخ الله جميع الأديان بدين الإسلام، فلم يبق دين صحيح مُوصِل إلىٰ رضوان الله إلا هو، وجميع الأديان قد حلَّ دين الإسلام محلَّها، وحفظ الله دستوره وهو القرآن من الضياع، فيجب علىٰ الناس كلِّهم الدخولُ فيه، فبالإسلام -

وبالإسلام فقط- يؤمن الإنسان بجميع الأنبياء قبل محمد، وهم المسيح عيسىٰ ابن مريم، وموسىٰ وإبراهيم وغيرهم، ولهذا قال الله تعالىٰ عن المؤمنين ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾(١).

• **فالحاصل** أن عقيدة الذنب الأصلي وعقيدة الفداء عقيدتان وهميتان خرافيتان، ليس لهما وجود في رسالة عيسىٰ ابن مريم الأصلية، بل هي من التحريف الذي دخل علىٰ دين عيسىٰ ابن مريم علىٰ مر القرون، ودور اليهود معروف في عداوة الأنبياء، فقد بين الله في القرآن أنهم قتلوا كثيرًا من أنبياء بني إسرائيل، وهمُّوا بقتل المسيح فحماه الله، وفي نهاية المطاف أرادوا قتْلَ النبي محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن امرأة يهودية وضعت سُمًّا في شاة مشوية، وأهدتها للنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأكل منها، فأثَّر هذا السُّم فيه، فمات بعد مُدة.

•ومن باب الفائدة، فقد يسر الله لي إعداد بحث مختصر في إثبات بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح، وبينتُ فيه بطلان هذه العقيدة بدلالة التوراة والأناجيل والعقل والتاريخ والقرآن، وهو منشور في شبكة المعلومات باسم:

أربعون دليلًا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

خـاتمـــة

تم البحث بحمد الله، وقد تم فيه توضيح قصة ابتداء خلق أبينا آدم، ثم خلق أمِّنا حواء، ثم ذِكْر قصة تكريم الله لآدم بالعلم، ثم قصة تشريف الله له بأمر الملائكة للسجود له سجود تحية، ثم ذكر قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، ثم قصة توبته من تلك الخطيئة وكيف أن الله تاب عليه وسامحه وعفا عنه وغفر له ذلك الذنب ومحاه فلم يعد له وجود، ثم بيان قصة استخلاف آدم في الأرض، بعمارة بَنِيه لها جيلًا بعد جيل إلىٰ يوم القيامة.

ثم بعد بيان الحق يسَّر الله بيان ضده، فتكلمتُ بما يسَّر الله علىٰ الاعتقاد الخاطئ المتعلق بمسألة خطيئة أبينا آدم، والجواب عنها من وجوه كثيرة.

تم الكتاب بحمد الله، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ماجد بن سليمان

مساء السبت، الثاني من شهر شعبان لعام ١٤٣٥ هجري، الموافق ٣١ مايو، ٢٠١٤ ميلادي.

وتمت مراجعته وتعديله يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر شعبان لعام ١٤٣٨ هجري، الموافق ٢٢ مايو، ٢٠١٧ ميلادي.

majed.alrassi@gmail.com

هاتف: **00966505906761**

مراجع علمية لمن أراد الاستزادة، وهي منشورة في موقع «الدين الواضح»

www.saaid.net/The-clear-religion

١. هل المسيح رب؟
٢. أربعون دليلًا على بطلان عقيدة «توارث الخطيئة» وعقيدة «صلب المسيح»
٣. أين التوراة والإنجيل الأصليين؟
٤. قصة أبينا آدم
٥. التغيرات والتطورات التدريجية التي حدثت على رسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون
٦. ستون دليلًا على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح ابن مريم
٧. لماذا خلقنا الله؟
٨. الأصول الثلاثة التي يقوم عليها دين الإسلام
٩. الإسلام دين الفطرة
١٠. خصائص الشريعة الإسلامية – أربعون خصيصة
١١. تعريف موجز بالكتاب المقدس - القرآن
١٢. سبع لمحات عن الرسول محمد، (صلى الله عليه وسلم)
١٣. موقف الإسلام من الإرهاب
١٤. ثمانون دليلًا على تكريم الإسلام للمرأة وحفظ حقوقها واحترام مشاعرها
١٥. مهلًا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام
١٦. قصة هداية الكاردينال دانيال إلى الإسلام
١٧. تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ
١٨. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible
١٩. Eleven Facts about Jesus
٢٠. Who Deserves to be Worshipped?